

النظرية البنائية في العلاقات الدولية.

محاضرة مقدمة لطلبة السنة الثانية علوم سياسية.

د. عيساوة آمنة.

السنة الجامعية: 2024-2025.

تقديم: تساؤلات مشروعة.

- في حقبة أواسط الثمانينات، بدأت التساؤلات تثار حول نظريات العلاقات الدولية، ومدى ضلوع هذه النظريات في توليد القوة في الواقع الدولي (الطرح النقدي).



- أهمية الطرح النقدي في التشكيك في موضوعية نظريات العلاقات الدولية ومدى استقلاليتها عن الأجندة السياسية للدول الكبرى.

- ساهم فشل منظري المنظور السائد (الواقعيين والليبراليين الجدد) في التنبؤ بانتهاء الحرب الباردة، أدى ذلك إلى تعزيز أهمية هذه التساؤلات.



- عجز القدرة التفسيرية خاصة بالنسبة للواقعيين والليبراليين الجدد كنظريات مهيمنة في حقل العلاقات الدولية.

• متى ظهرت البنائية؟



• يرجع الفضل في تعريف حقل العلاقات الدولية بالبنائية إلى نيكولاس أونوف، وهو أول من قام باستعمال مصطلح البنائية عام 1989 في كتابه:

" World of Our Making".



• وكان له تأثير لاحقاً على ألكسندر ونت التي أصبحت أعماله بمثابة الإسهامات الأهم في النظرية البنائية الرائدة. خاصة مقالته الصادر عام 1992 بعنوان:

**Anarchy is What States Make of It:
Social Constructive of Power
Politics**

• أولاً: البنائية والنظريات السائدة:

- يتفق البنائيون مع الواقعيين الجدد حول فوضوية النظام الدولي،
وبأنّ الدول تحوز قدرات هجومية، وبأنّها لا يمكن أن تكون متأكّدة
تماماً، من أنّها لن تتعرض للهجوم وهي تسعى إلى البقاء.

- كما يتفق البنائيون مع المؤسساتيين الجدد حول سعي الدول لتعظيم
مكاسبها المطلقة، وإمكانية التغلب على آثار الفوضى المعيقة للسلام،
وأهمية المؤسسات في تغيير سلوك الدول.

- غير أن الكيفية التي يفهم بها البنائيون دور ونتائج الفوضى في السياسة الدولية تختلف عن تلك التي يدافع عنها الواقعيون الجدد وإلى حد ما الليبراليون الجدد.

ثانيا: الافتراضات البنائية.

- اشترك البنائيون في التشديد على الأبعاد الاجتماعية للعلاقات الدولية، وعلى احتمال تغيير واقع العلاقات الدولية بناءً على فهم هذه الأبعاد.

الافتراض الأول: الواقع الدولي مبني اجتماعيا.

- تقترح فكرة البناء الاجتماعي وجود اختلاف عبر السياق بدلا من وجود واقع موضوعي منفرد. (مثال: عملية بناء مؤسسات مختلفة بنفس مواد البناء لكن المعاني والأهداف مختلفة).

- الدول والتحالفات والمؤسسات الدولية هي ظواهر اجتماعية، قد تبنى على المادة الأساس وهي الطبيعة الانسانية، ولكنها تأخذ أشكالاً تاريخية وثقافية، وسياسية معينة هي نتاج للتفاعل البشري في عالم اجتماعي.

- فالنظريات التقليدية والتي غالبا ما افترضت تماثل الدول، عبر المكان والزمان، قد حددت الأولوية لعملية التعرف على الأنماط المنتظمة، وذلك بهدف التعميم و**بناء النظرية**. إلا أن التغييرات الجوهرية التي ظهرت مع نهاية الحرب الباردة وفي أعقابها، كشفت عن أهمية السياق الاجتماعي.



(**التفسير** في مواجهة **الفهم**)

- أكد البنائيون على الأبعاد الاجتماعية للعلاقات الدولية، وأظهروا أهمية القيم والمعايير.
مثال: دور فكر غورباتشوف في نهاية الحرب الباردة، انتشار القيم الليبرالية من غرب إلى دول شرق أوروبا.
- كلها ظواهر أظهرت اختزالية التفسير الواقعي وتركيزه على الأبعاد المادية (القوة).

الافتراض الثاني: العلاقة بين البنية والفاعل.

- يشترك كل من الواقعيين الجدد والليبراليين الجدد في **العقلانية** (نظرية الاختيار العقلاني)، التي تفسر سلوك الدولة الخارجي.

الفوضى ← السياسات ← المصالح (البقاء) ← سلوك عقلائي.



الطرح الواقعي الجديد

- الفوضى: معطى مادي مسبق.
- السياسات: رد فعل آلي للدول.
- المصالح: عقلانية السلوك الخارجي.

بالنسبة لليبراليين الجدد.

- الفوضى ← السياسات والعمليات ← المصالح (الرفاه) ← سلوك عقلائي.

• إذن؛ الجهات الفاعلة تتخذ أفعالها أثناء تفاعلها مع الآخرين.

ما المقصود بالعملية؟



تتصرف الدول تجاه الأعداء بشكل مختلف عما تفعله تجاه الأصدقاء لأن هؤلاء لا يشكلون تهديدا لها. مثال:

- القوة العسكرية عند كوبا ليست كما هي عند كندا بالنسبة للولايات المتحدة.

- الصواريخ البالستية الروسية والصواريخ البالستية البريطانية بالنسبة للولايات المتحدة.

- قد يؤثر توزيع القوة على حسابات الدول لكن كيفية القيام بذلك تعتمد على التفاهات والتوقعات الذاتية المتبادلة "توزيع المعرفة" التي تشكل تصوراتنا عن الذات والآخر.

بالنسبة للبنائية

• الهويات والمصالح ← السياسات ← الفوضى أو تغير الفوضى

يقول ألكسندر ونت:

- "... لا يوجد منطق للفوضى بمعزل عن (السياسات) التي تخلق وتمثل بنية واحدة من الهويات والمصالح بدلا من أخرى".

الافتراض الثالث: الهويات أساس المصالح.

- لتفسير سلوك الدولة أو أي فاعل في العلاقات الدولية نعتمد عاملان: الهوية ثم المصلحة.
- فالهوية سابقة على المصالح والمصالح سابقة على الممارسات والأفعال. بمعنى أن هوية الدولة هي جوهر شبه ثابت وأن المصالح تتشكل للحفاظ على هذه الهوية، وتأتي الممارسات والتفاعلات بين الدول والكيانات لخدمة هذين الركيزتين.

- الهويات هي أساس المصالح.
- مثال: الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي أثناء الحرب الباردة فقد تشكل كل منهما هوية أنه المدافع عن ايدولوجية ما، ما صنف الآخر آليا في خانة العدو، النتيجة سياسات القوة اتجاه الآخر.

• الهوية دائما ذات ارتباط بالواقع الاجتماعي المحدد. وهي ذات تعريف اجتماعي للدولة.

الدولة ← السيادة على الشعب.
← القوة الإقليمية أو العظمى.
← زعيمة العالم الحر، زعيمة المسلمين.

النتائج:

- قدمت البنائية لرؤية جديدة للعلاقات الدولية تؤكد أن الواقع الدولي مبني اجتماعيا.
- المصالح تابعة للهويات والسياسات ما هي إلا مجموعة من الهويات مغلفة في اطار مصالح.
- العلاقة بين البنى والفاعل هي علاقة تأثير وتأثر .
- البنائية نظرية لا ستاتيكية فهي تؤمن بتغيير الواقع انطلاقا من تغيير الأفكار اتجاه الواقع.